# الدّراسات البينية في التّراث العربي (رسالة الاسم والمسمّى للبطليوسي أنموذجا).

# The interdisciplinary studies in Arabian heritage (Noun and Referent by al-Batalyousi as a model)

د. مراد ليتيمي/

أستاذ محاضر صنف (أ)، جامعة خميس مليانة

m.litimi@univ-dbkm.dz

تاريخ الإرسال:2021/12/20 تاريخ القبول: 2023/01/02 تاريخ القبول: 2023/01/08

**ملخص:** شكّل البحث في العلامات اللغويّة وغير اللغويّة اهتماما بالغا لدى فلاسفة العرب، ويظهر ذلك من خلال بحثهم في العلامات والدلالات التي تحيل عليها، وربط كلّ ذلك بالسياقات اللّغوية وغير اللّغوية ودورها في توجيه فهم العلامة، ممّا يُحيل على وجود إرهاصات جليّة للدراسات البينية التي تستثمر قواعد وآليات منهجية لحقول معرفيّة شتّى كالدرس اللّساني والسيميائي، وتعدّ مقالة **الاسم والمسمى لابن السِّيد البَطَلْيوسي** من الأبحاث الرائدة في هذا المجال، والتي تنم عن رؤية عميقة مؤسَّسة على فلسفة وقاعدة علمية متينة، تعتمد إرثا معرفيّا متنوعا تتجاذبه تخصصات مختلفة منها اللّساني والسيميائي والفلسفي، وهي رسالة تبحث في العلاقة بين الاسم والمسمى والعلاقة بين الدال وما يحيل إليه، وقد جاءت في أبواب كما يلي:

الباب الأول: في تبيين كيف يكون الاسم غير المسمَّى.

الباب الثاني: في تبيين كيف يصحّ أن يقال: إن الاسم هو المسمَّى.

الباب الثالث: في تبيين كيف يكون المسمى بمعنى الاسم الذي هو التسمية.

الباب الرابع: في تبيين كيف يكون الشيء الواحد مسمَّى من جهة وتسمية من جهة أخرى.

وانتهى في بحث المسألة إلى أن الاسم والمسمّى والتسمية مفاهيم غير مترادفة، قد تتداخل دلالياً بضرب من التأويل، لذلك سيحاول هذا البحث المتواضع، طرح مجموعة من الإشكاليات من قبيل: كيف فهمت العرب العلامة؟ وكيف ربطت بين الدال والمدلول على ضوء المباحث المختلفة: لسانيّة، سيمائية، فلسفيّة؟ وما الخلفيات المعرفيّة التي وجّهت هذا النمط من التفكير؟

**الكلمات المفتاحية**: الدراسات البينية، الاسم، المسمّى، الفلسفة، اللسانيات.

**Abstract :**

*Research into linguistic and non-linguistic signs has been of great interest to Arab philosophers. This was demonstrated through their research in the signs and significances they refer to, and linking all this to linguistic and non-linguistic contexts, as well as their role in guiding the understanding of the sign, suggesting that there are clear indications of interdisciplinary studies that invest systematic rules and mechanisms of various fields of knowledge such as the linguistic and semiotic lesson. The article"Ism wa Mosamma"(Noun and Referent)by Ibn al-Said al-Baṭalyousi is a pioneering research in this field, which is a deep vision founded on a solid philosophy and scientific base. It adopts a diverse cognitive heritage attracted by different disciplines, including linguistic, semiotic, and philosophical. It is a letter that examines the relationship between the noun and the referent, and the relationship between the signifier and the signified. It came according to the following sections:*

*Section one: Explaining how the noun is different from the referent.*

*Section two: Explaining when to say that the noun is the referent.*

*Section three: Explaining how the referent under the meaning of the noun is the naming.*

*Section four: Explaining how an object is a referent on the one hand and a naming on the other.*

*It has been concluded that the noun, the referent, and the naming are not synonymous concepts, which may overlap semantically.*

*Thus, this humble research will attempt to raise a range of problems, such as: How did Arabs understand the sign? How did Arabs link the signifier with the signified in the light of various themes: linguistics, semiotics, philosophy? What cognitive backgrounds were guiding this type of thinking?*

***Key- words** : interdisciplinary studies, noun, referent, philosophy, linguistics.*

## 1. تمهيد:

عرف التراث العربي أبحاثاً رائدة في مجال الدراسات اللّسانيّة، شكلت قاعدة متينة للدارسين في الأزمنة اللّاحقة، حيث اتسمت هذه الأبحاث بالرؤية الواضحة والتحليل المنهجيّ والحجج المنطقيّة، وما زادها قيمةً، الفكر الموسوعي الذي عُرف به العلماء العرب ومقدرتهم على استثمار مكتسبات العلوم والتخصصات المختلفة في المجال اللّساني، ومن هذه التجارب نأخذ مقالة **الاسم والمسمى لابن السِّيد البَطَلْيوسي** أنموذجاً، والتي سنحاول من خلالها، البحث في كيفية استثمار **البطليوسي** لمقولات ومصطلحات العلوم المختلفة في بحثه اللّساني.

## 2. مفهوم العلامة عند العرب:

يعد البحث في العلامة نقطة مركزية لدى المجتمعات والجماعات الباحثة عن المعرفة، كون "السيمياء بوصفها علم العلامات العام تقدّم منهجا من أجل اكتساب معرفة تدور حول البنى المؤسسة للّغة"[1]. ولما أدرك العلماء العرب هذه الحقيقة في مختلف مجالاتهم وتخصصاتهم، كان اهتمامهم بالغا بالعلامة اللّغوية وغير اللّغوية، "ولعلّ تصنيف العرب للعلامة اللّفظية بوصفها نسقا سيميائيا عاما يؤكد مسعاهم في النظر إلى العلامة على أنّها مدخل للتعمق في النظر فيما اختلف فيه أهل البحث"[2] ومنهم:

- ✓ **الدراسات اللّغوية:** سيبويه وابن جني وابن فارس وابن سيده...إلخ.
- ✓ **الدراسات البلاغية:** الجاحظ وأبي هلال العسكري وعبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني والسكاكي...إلخ.
- ✓ **الدراسات الأصولية:** الآمدي وأبو حامد الغزالي...إلخ.
- ✓ **الدراسات الفلسفية والمنطقية:** الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن حزم وابن رشد...إلخ.

والعلامة حسب التراثيين "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به، العلم بشيء آخر، والشيء الأوّل هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللّفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، واقتضاء النص"[3]، فالعلامة عنصر مركزي لفم العالم واستيعابه وهذا الاستيعاب لا يكون سليما إلاّ بفهم طبيعة العلاقة بين طرفي العلامة وهما الدال والمدلول؛ أي فهم كيف يمكن لشيء ما أن يحيل على شيء آخر فيكون الأول دالا والثاني مدلولا.

## 3. بين الدال والمدلول:

يتفق العلماء العرب حول مفهوم الدلالة[4] والمتمثل في شيء يدل بالضرورة على شيء آخر بالاصطلاح، وقد شغل ركنا العلامة وهما الدال والمدلول النظار العرب في مختلف المجالات، بيد أنّه كان لعلماء الأصول البصمة الأبرز في البحث، وممّا ورد في هذا السياق قول **ابن فارس**: "الدال واللام أصل يدل على إبانة الشيء بأمارة تتعلمها والدليل في الشيء"[5].

يتشكل المدلول عن الدال اللّغوي من خلال السياق (أي السياق اللّغوي)، حيث أنّ فائدة الكلام حسب **القاضي عبد الجبار** تتم "بأن يحدث بعضه إثر بعض، فيصح أن يفيد الأقسام المعقولة، فأما إذا حدثت كلّها معا فلا يصح وقوع الفائدة"[6]، يساند هذا المسعى **ابن خلدون** حيث يعتبر أنّ الدلالة تستفاد من النظر في المركب بعد المفرد إذ "يتعيّن النظر في دلالة الألفاظ، ذلك أنّ استفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة...ثمّ إنّ هناك استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام"[7].

لهذا نجد جلّ النظار العرب يبحثون في التراكيب بعد التدقيق في المداخل المعجميّة للألفاظ، كون التراكيب هي التي تحمّل الألفاظ بالدلالات المختلفة، وهي الآلية التي بنى عليها **البطليوسي** فهمه للدلالات إلى جانب آليات أخرى، لكن يبقى البحث

في التراكيب وما يستفاد منها من أهم مرتكزات الفهم عند **البطليوسي**، وهي دراسة لغويّة سميائيّة برؤية فلسفيّة.

ولما كانت "اللّغة تجري مجرى العلامات والسمات، ولا معنى للعلامة والسمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه"[8]، كان اهتمام العرب بالغا بطرفي العلامة وهما الدال والمدلول إلى جانب اهتمامهم بخصوصيات كلّ طرف والعلاقة بينهما، وقد استنتج التراثيون مجموعة من الخصائص التي تحكم العلامة اللّغوية وهي:

- ✓ الخطية: كون الكلام يأتي بعضه بعد بعض.
- ✓ القصدية: كون المرسل يقصد أن يبلغ رسالة للمتلقي.
- ✓ الاعتباطية: كون العلاقة بين الدال والمدلول قائمة على الاصطلاح.

ساند هذا المسعى **أبو حامد الغزال** حيث يقول: "للشيء وجود في الأعيان ثمّ في الأذهان، ثمّ في الألفاظ، ثمّ في الكتابة ...والوجود في الأعيان والأذهان لا يختلف بالبلاد والأمم، بخلاف الألفاظ والكتابة فإنهما دالتان بالوضع والاصطلاح"[9]، ممّا يؤكد ميل العلماء إلى اعتبار دلالة اللّفظ مرتبطة بالاصطلاح.

## 4. الخلفيات الفلسفية للتفكير اللّساني عند العرب:

تدرج مسار التفكير اللّساني، على أيدي العلماء المسلمين، في مختلف المجالات خاصةً مع علماء الكلام والنحويين والبلاغيين، وقد حمل هذا المفهوم خصوصيات مميزة للحضارة الإسلامية وبنياتها الفكرية والمناخ الحضاري الذي ولدّها، لكن مافتئت خصوصية الذات العربية تلتقي مع الروافد العقلية الأخرى من فرس ويونان وهنود ويهود، وغيرها من الأمم، التي كان لها أثر على الإنسانية، فقد كان التفكير اللّساني في التراث العربي محكوماً بثلاث منظومات معرفية هي:

- ✓ **المنظومة المعرفية المتعلقة باللّسان العربي**، ومنهج علم الكلام البرهاني الحجاجي، الذي ارتبط بالقرآن والوحي ومعانيهما، وهي منظومة نابعة عن الذات العربية.

✓ **المنظومة المعرفية العرفانية**، وصورتها التأويل الباطني والتصوف والإستشراق، وهو تأثر ارتبط بالموروث السوري والمصري(هرمسي أفلاطوني هيليني) وبالفارسي العراقي (الزرادشتي المانوي البابلي).

✓ **المنظومة المعرفية العقلية** البرهانية المتأثرة بالفكر الأرسطي[10] والفلسفات اليونانية والمنطق الصوري.

فقد كانت هذه المنظومات الفكرية متحكمة في التفكير اللّساني عند العرب، وكان لا يتحرك إلاّ في إطارها.

**5. النحو العربي وإشكالية تأويل الصفات**: للّغة العربية منطقها الخاص، ولنحوها منطق لا تستقيم إلاّ به، هذا المنطق الذي لا يمكن فيه الفصل بين الشكل والمضمون، ودلالة اللّفظ مرتبطة ببنية الشكل، عليه لا يمكن فهم لغة العرب، إلاّ بفهم منطقها[11]. لهذا كان لا بد على العلماء والفلاسفة العرب العودة إلى مباحث اللّغة العربية وعلومها في فهم مقاصد الخطابات ودلالات الألفاظ.

لهذا يقول **هيثم سرحان**: "يتسم الإعراب بطابع سميائي، إذ إنّه يؤدي دورا وظيفيا ممثلا في الكشف عن المعنى وبلورة دلالته، كما يتصل هذا النظام اتصالا وثيقا بالكلام وعلاقته الإسنادية المتعلقة بتبيان أركان الكلام وتعيين مفاصله الكبرى[12]"، وعليه فالمعاني والدلالات النحوية ليست مجرّد إسقاط على البنى بل هي قانون يحكمه منطق العلاقات بين عناصر الكلام، وتحليل البنى الغامضة يرتبط بآليات النحو واعتمادا على مداخله، أثناء عقلنة الإعراب للّغة، عن طريق الوصول إلى المعنى، فالمراد من كلّ ذلك هو الوصول إلى قصدية الكلام[13]، ولأنّ النحو نحو معنى كما يقول أهل الاختصاص، لم يجد الفلاسفة العرب بدا من الاستئناس بهذا العلم الذي وصل مرحلة النضج قبل اتضاح معالم علم الكلام بزمن ليس بهيّن، فكان علماء الكلام والفلاسفة يستدلون بقواعد النحو ومنطقه عند طرحهم لقضية الأسماء والصفات

وعلاقتها بالوجود خاصة ما تعلق بالصفات الإلهية، وكيفية انتساب الصفات إلى الموضوع الذي تحمل عليه[14].

ومنه أخذهم تحديد **سيبويه** للجملة الاسمية: أنّ الخبر في الجملة الاسمية يجب أن يكون متطابقا مع المبتدأ موضوع الجملة، الشيء هو هو. أمّا **المبرّد** فيرى أنّ الخبر في الجملة الاسمية يجب أن يكون المبتدأ في المعنى، مثل جملة (زيد أخوك) أو (زيد واقف)، وإذا لم يكن الخبر هو المبتدأ في المعنى فإنّ الخبر سيكون شيئا آخر غير مبتدئه.

كان هدف علماء الكلام والفلاسفة صياغة الأشياء لغويا للكشف عن حقائقها، والتعبير عنها باللّغة العربية بطريقة دقيقة وواضحة، ورغم اتفاق علماء الكلام في سعيهم لفهم الصفات الإلهية انطلاقا من الأساس اللّغوي، فإنّهم اختلفوا في تحديد طبيعة الخبر في الجملة الاسمية العربية، حيث كان التناظر على أشده فيما يتعلق بالإشكاليات التالية:

- ✓ هل يتطابق الخبر مع مبتدئه في جملة "الله عالم" أم أنه شيء مختلف عنه؟
- ✓ هل يجد هذا الخبر مرجعيته في الاسم ذاته أم في الموضوع الذي يخبر عنه ؟ أم في شيء آخر؟
- ✓ ما طبيعة العلاقة بين المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية؟[15]

رغم اختلاف المعتزلة حول دلالة الخبر في الجملة الاسمية، بيد أنّ كثيرا منهم أمثال **الجهم بن صفوان** (توفي 128هـ/796م)، **أبو الهذيل العلاف** (توفي 235هـ/915م) **هشام بن الحكم** (توفي 181هـ/798م)...الخ، اتفقوا أنّ المحمولات كعالم، قادر، سميع...الخ تجد مرجعيتها في معان قائمة بذات **الله** تعالى، بمعنى أنّه جلّ وعلا عالم بعلم والعلم الذي يشتق منه المحمول (عالم) يقوم بذاته تعالى، فحسبهم: هذه المعاني ليست مطابقة للذات الإلهية ولا متحدة معها، كما أنّها ليست مغايرة أو معاكسة لها. مما جعلهم يعبرون عن ذلك بقولهم "لا هي هو ولا هي غيره".

وقد تطورت هذه الصيغة مع **أبي علي الجبائي** (توفي 303هـ/915م)، والتي أضحت الصيغة المعتزلية بامتياز، فيما يتعلق بالمحمولات: **الله** عالم بذاته، قادر بذاته، سميع بذاته، حي بذاته، لا بعلم ولا بقوة ولا بسمع ولا بحياة.

رغم اتفاق **أبو الهذيل العلاف** مع أقرانه أنّ المحمولات تجد مرجعيتها في معان قائمة بذاته تعالى، بيد أنّه اختلف معهم، في صيغة ذلك، حيث يرى أنّ الذات والصفات يمثلان شيئا واحدا "**فالله** تعالى عالم بعلم هو هو"، بمعنى صفاته تعالى"هي هو"[16].

يرى فريق غير هيّن من الأشاعرة والماتريدية أنّ المحمول لا يعود على الذات، بل على صفة تقيم بها، فالوصف **لله** تعالى أنّه عالم في جملة (**الله** عالم) لا يعود على الذات، إنّما يحيل على صفة معنى تقيم في الذات الإلهية هي (العلم)، وفي الوقت ذاته تشتق منها[17].

**6. دلالة الاسم عند العرب:** حظيت علامة الاسم باهتمام كبير لدى الفلاسفة العرب، فـ"الاسم إنّما سمي اسما لكونه علامة على مسماه"[18]. ويعرفه النحويون بأنّه "ما يدلّ على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، وفي اللّغة سمة الشيء، أيّ علامته..."[19]، لكن النظر في الاسم اتسم بطابع فلسفي وبنظر متعمق تمظهر في الأبحاث والرسائل التي دونها القدماء ومنهم **البطليوسي**، و**الرازي**[20] الذي كان من الباحثين الرواد في هذا المجال، إلى جانب كثير من الباحثين التراثيين في مختلف المجالات خاصة النحويين والأصوليين.

**7. آليات الفهم عند البطليوسي:** يعتمد استنباط الدلالات عند **البطليوسي** على مجموعة من الآليات المنسجمة، والتي يعضد بعضها بعضا كالآتي:

**1.7. المدخل المعجمي الصرفي:** يبني **البطليوسي** فهمه للألفاظ من خلال مداخلها المعجمية والصرفيّة، حيث يقوم بتحديد البناء الصرفي للكلمة ثمّ المادة

المعجميّة التي تشكلها،[21] حتى لا تلتبس بلفظة مشابهة لها، ويشفع ذلك بالشواهد والأمثلة التي لا تترك مجالا للشك أو اللّبس.

**2.7. المداخل التركيبية:** بعد تحديد المداخل المعجمية والصرفية للّفظة وضبط دلالتها، ينتقل **البطليوسي** إلى تحديد دلالتها ضمن التركيب،[22] من خلال التدقيق في العلاقات القائمة بين الألفاظ، حيث يعتبر **الجرجاني** الخطاب شبكة من العلامات والسمات التي تحيل إلى الدلالة الكلّية، من خلال تتبع أثر معاني النحو، والعلامة ذات دلالة حركية تتغيّر بتغيّر السياقات، والنصّ إبداع محكوم بمحورين:

- ✓ محور الاختيار.
- ✓ محور التوزيع.

إذا فالخطاب مجموعة من العلاقات التي تحكم مجموعة من الألفاظ، وهذه العلاقات هي التي تحدّد دلالة اللّفظة وتحقق لها وجودها الفعلي، لذلك فإنّ جودة الخطابات تكمن في مدى تحقيق آليات النحو[23]؛ لذا يقول **الجرجاني**: "الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللّغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضمّ بعضها إلى بعض"[24]، كما تكمن شعرية الخطاب حسبه في ناتج الإمكانات النحوية أمّا المعنى فهو على مستويين:

- ✓ مستوى يؤخذ من الصياغة، أي الألفاظ.
- ✓ مستوى يؤخذ من المعنى الأولي، الذي يفضي إلى المعنى الثاني، وأطلق عليه **الجرجاني** (معنى المعنى).

**3.7. التشبيه والاستعارة:** يرى **البطليوسي** في المجاز وضروب محاسن الكلام أهميّة بالغة في الفهم،[25] وذلك من وجهين: إمّا بربطها بطريقة العرب في كلامها والتعبير المجازي، أو بالكشف عن طرافتها وقدرتها على الكشف والإبداع. "فالاستعارة ظاهرة مركزيّة غالبة في دلالة الكلام العادي اليومي وهي جزء من الفكر من حيث مثلت أداة في تصوّر العالم والأشياء وتمثلها في جميع مظاهرها، فهي جزء من

النظام العرفيني"[26]؛ فجل تواصلنا ينبني على استعارة صفات أشياء لأشياء أخرى، لكن مع الممارسة يعتقد المتكلم أنّه يوظف عبارات حقيقية، وهذا يتجلى أكثر في الاستعارات الميّتة والمبتذلة: فقدم الكرسي، لسان القلم وعين المجهر...الخ. استعارات متداولة في حياتنا اليومية، نتناسى في كثير من الأحيان حقيقة كونها استعارات أو معان مجازية، "الاستعارة حاضرة في كلّ مجالات حياتنا اليومية، إنّها ليست مقتصرة على اللّغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا، إنّ النسق التصوري العادي الذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس"[27]، وينتظم من خلال الاستعارات، "إنّ للاستعارة في كلّ المجتمعات وجها معياريا ومعززا، ووجها استكشافيا، إنّها تهتم بالذي نعرفه، والذي لا نعرفه، إنّها توجد وتعمل كما لو كانت توسع رؤيانا وخيالنا، وما تحققه الاستعارة ليس الانحراف بل التأكيد، فالاستعارة تثير الانتباه، وتطلب الموافقة على التفاصيل من التشابهات والتغيرات"[28].

**4.7. الإشارة، الإيماء والتلميح:** يعمل **البطليوسي** على فهم الدلالات المضمرة،[29] والاستفادة من الرموز والتلميحات، ومنه يقول **البطليوسي**: "وأصل الرّمز الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم ثمّ استعمل حتى صار الإشارة"[30]، "وللفكر خصائص جشطلتية وليس ذريا، بمعنى أنّ للمفاهيم أبنية شاملة عامة تتجاوز مجموع المكونات الجزئية فيها، ويكون للمفاهيم بنية مرتبطة بالمحيط والبيئة بمعنى أنّها ليست مجرد أبنية رمزية يشتغل عليها الذّهن منقطعة عن مجال العيش والتجربة"[31]، كون الأبنية الرمزية في أصلها نتاج للتجربة الإنسانية، ونتاج لمعطيات يفرزها احتكاك الإنسان في مجال عيشه.

"والمعنى الخاص للرمز في أيّ مكان مفترض لا يمكن أن يتحدّد إلاّ من السياق الكامل الذي يظهر فيه الرمز، وعلى أساس التجارب المهيمنة للشخص الذي يستخدم الرمز"[32]، فهذا الأخير يرتبط بمجمل السياقات التي ينشأ فيها، ومعناه يتحدّد من خلالها، إلى جانب تجارب مستعمل الرمز، الذي يضفي عليه من

الدلالات ما يوافق هذه التجارب. فرمز الماء يختلف من مجتمع لآخر، فهو يمثل الاطمئنان والسكينة لبعض المجتمعات، لكنه مصدر خوف ورهبة عند مجتمعات أخرى، فالـماء: هو الذي يبقي الكائنات حية، ويجعلها تنمو وتنتشر، مصداقا لقوله تعالى: «**وجَعَلْنَا مِنَ اَلْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَي**»[33]. وقوله: «**واللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَةٍ مِنْ مَاءٍ**»[34]. فقد أدرك الإنسان قديماً دور الماء العذب في الحياة لذا قدّسه وبجله، وربطه بالأساطير "فالأسطورة أول الأشكال الأدبية ظهورا على الإطلاق، لقد ظهرت عندما كان الإنسان يحاكي الطبيعة، إنّها نظام فكري متكامل، استوعب قلق الإنسان الوجودي، وتوقه الأبدي لكشف الغوامض التي يطرحها محيطه، والأحاجي التي يتحداه بها التنظيم الكوني المحكم الذي يتحرك ضمنه"[35]، فكان من خلالها يعبّر عن تصوّره للماء، فالماء هو القوّة والطّهارة الّتي تتجلّى في الجانب الرّوحي، مثلما تتجلّى في الجانب المادي، ترمز المياه إلى القوّة والحياة، إنّها رمز الإشراق والإشعاع والنُّور، ويمكن لنا أن نلخص مدلولاتها في ثلاثة عناصر مختلفة هي:

- ✓ الماء منبع الحياة.
- ✓ الماء وسيلة تطهير.
- ✓ الماء أصل الانبعاث.

وقد يكون الماء أكبر قوّة تدميرية، عندما تحركه العاصفة، أو حين يفيض النهر على ضفافه، أو يرتفع المدّ، ولهذا قد يكون التعبير الرمزي عن الرعب والخوف، وكذلك عن الراحة والأمن، "والمثال التوضيحي الآخر على المبدأ ذاته وهو رمز الوادي، فالوادي المحصور بين الجبال قد يوقظ في نفسنا الشعور بالطمأنينة والراحة، والحماية من المخاطر الخارجية، إلاّ أنّ الجبال الحامية قد تعني كذلك أسوارا عازلة لا تسمح لنا بالخروج من الوادي بذلك يمكن أن يصبح الوادي رمزا للأسر، فالمعنى الخاص للرمز في أي مكان مفترض لا يمكن أن يتحدد إلاّ من السياق الكامل الذي يظهر فيه الرمز، وعلى أساس تجارب الشخص الذي يستخدم الرمز"[36].

**5.7. الإيهام والإلغاز:** يطلق لفظ الإيهام –حسب النقاد والبلاغيين– على التورية والإلغاز والتخييل،[37] وقد اهتم بها **البطليوسي** في فهمه وتفسيره، لأنّ أخذها بعين الاعتبار يمكّن القارئ من بلوغ الدلالة التي أرادها الكاتب/المرسل، وفي هذا السياق يقول **السكاكي**: "أن يكون للّفظ استعمالان قريب وبعيد، فيذكر الإيهام القريب في الحال إلى أن يظهر أنّ المراد به بعيد"[38]، وقد جاء في الأثر أنّ غلاما قال لـ**عمر بن الخطاب**–رضي الله عنه–: "أحب الفتنة، وأكره الحقّ، وأشهد على ما لم أر"، فحكم عليه بالسجن، ليحضر **علي** –رضي الله عنه– فيحكم له بخلاف ذلك،[39] ويرجع ذلك إلى أنّ **عمر** حكم على ظاهر الكلام، و**علي** حكم على المعاني البعيدة، والتي قصد منها الغلام أنّه يحب الولد، ويكره الموت، ويشهد ألاّ إله إلاّ الله وأنّ مُحَمَّداً رسول الله.

**6.7. المقابلة بالشاهد:** حتى تتضح الدلالة لدى **البطليوسي**، يسعى دائما إلى عرض اللّفظة في كلام العرب الفصحاء وعيون الشعر العربي، ونلاحظ في مقالته توظيفه للأمثلة البسيطة والشواهد الشعرية المتنوعة إلى جانب الآيات القرآنية، حتى يوضح دلالة اللّفظة، حيث يتميّز الشاهد في الثقافة العربية بسلطة حجاجية، خولتها له طبيعة الفكر العربي، خاصة الشاهد الشعري الذي غلب على غيره من أنواع الشواهد، ولما دخل العرب في الإسلام أصبحت الشواهد الدينية على رأسها القرآن الكريم أكثر النصوص مقبولية من حيث الاستشهاد، "فالاستشهاد بالنصوص ذات القيمة السلطوية على المخاطب كالمقولات الدينية أو كلمات القادة الخالدين في نظر الجماعة المقصودة، لأنّ قيمة الشخص المعترف بها سالفا من قبل السامعين يمكن اعتبارها مقدمة حجاجية"[(40)].

**7.7. المبالغة والغلو:** وظف **البطليوسي** المبالغة كأداة مساعدة في بلوغ دلالات الخطابات،[41] فكان مفهوم المبالغة أداة لاستخلاص الدلالة من العبارة المبالغ فيها.

**8.7. النظر في أقوال العلماء:** حتى تكون آراء **البطليوسي** قريبة صائبة كان ينظر في أقوال العلماء وأهل الاختصاص في المسألة التي يسعى للبحث فيها، ويظهر ذلك في قوله: "فإنّي لا أعلم أحداً من أصحابنا قال: إن العبارةَ هي المعبَّر عنه، فيلزم من قولهم ما أردت أن تقول".

**9.7. تأويل اللّفظ بما تحتمله السياقات:** تفطن العلماء القدماء إلى دور السياقات اللّغوية وغير اللّغوية في فهم الدلالة الحقيقية أو القريبة من الحقيقة، وقد حذا **البطليوسي** ذلك الدرب فكان يؤوّل الألفاظ على النحو الذي يقتضيه عرف كلامهم، والخطاب عند العرب نسيج لغوي، محكوم بالسياق اللّغوي، والمقام التداولي، هذان الأخيران هما اللّذان يحددان فهم المتلقي للنص، لذلك لم تجد العرب إشكالا في فهم النصوص، وإن كثر اختلافهم في تأويلها حسب المقامات والسياقات المختلفة، وإذا أخذنا قول –النبي صلّى الله عليه وسلّم–: "بيت لا تمر فيه جياع أهله"، نجد أنّ المعنى الحرفي للخطاب يصرح أنّ كلّ بيت ليس فيه تمر أصحابه جياع، لكن العرب لم تجد إشكالا في فهم الحديث، لأنّه كان محكوما بسياق لغوي، ومقام تداولي، وجّه فهمهم وجهة صحيحة، فالعارف بأحوال العرب في ذلك الزمن، يدرك أنّ التمر من الأغذية الأساسية عندهم، وفقدان التمر أو غيابه، يعني غياب أيّ نوع من الغذاء، ممّا يجعل أهله جياعا، نجد في هذا الحديث، أنّ ثقافة المتلقي والمقام التداولي، هما اللّذان أعطيا النص معناه.

وبعد أن قام **البطليوسي** بالنظر في دلالات الأسماء في مختلف السياقات، توصل إلى أنّ العلاقة بين الاسم والمسمى تكون على حالات:

✓ يكون **الاسم غير المسمَّى**، وهذا يتعلق بالاسم الذي يراد به التسمية، لأنّه ليس يريد أن يعلمه بذاته ما هي، وإنّما يلتمس منه أن يُعلمه بالعبارة المعبّر بها عنه، المشار بها إلى ذاته، كقولك لشخص ما اسمك؟ وكقولك محوت اسم زيد من

الكتاب، فأنت لم تمح زيدا، فلو صحّ أن يكون الاسم هو المسمى لمات من قال سمّ واحترق من قال نار.

✓ يصحّ أن يقال: إن **الاسم هو المسمَّى**، وذلك من أوجه:

غياب الأشياء عن المشاهدة، فصارت الأسماء تنوب في تصوّر المعاني في نفوس السامعين فصحّ أن يقال إنّ الاسم هو المسمى على ضرب من التأويل.

عند اشتقاق الأسماء للمسميات من معان موجودة فيها، كقولنا حي لمن وجدت فيه الحياة، فيصحّ أن يقال إنّ الاسم هو المسمى على ضرب من التأويل.

أنّ العرب تذهب بالاسم إلى المعنى الواقع تحت التسمية، فيقولون هذا اسم زيد، فيجعلونه الاسم والمسمى مترادفين.

✓ يكون **المسمى بمعنى الاسم الذي هو التسمية**، وهو باب تختص به اللّغة العربية، حيث يجوز للفعل الذي جاوز عدد أحرفه ثلاثة أن يأتي مصدره على مثال مفعوله، كقولنا سرّحته، تسريحا، مسرّحاً.

✓ يكون **الشيء الواحد مسمًّى من جهة وتسمية من جهة أخرى**، كون الاسم لفظة تجري مجرى الجنس والنوع، فعندما نقول زيد وإنسان وحيّ نجد الحيّ هو اسم الإنسان، والإنسان الذي هو مسمى له قد تساويا في أنّهما اسمان لزيد، منه يصّح القول إنّ الاسم هو المسمّى على ضرب من التأويل، وانتهى في بحث المسألة إلى أن الاسم، والمسمّى، والتسمية، مفاهيم غير مترادفة، قد تتداخل دلالياً بضرب من التأويل.

## 8. خاتمة:

لا ندّعي أننا قدمنا في هذه المقالة المتواضعة تصورا دقيقا للتفكير اللّساني عند العرب –ممثلا في **البطليوسي**–، فعملنا كان محاولة للكشف عن نضج التفكير اللّساني التراثي وكفاءته العالية، ومقدرته على النهل من مختلف التخصصات والعلوم، ويظهر ذلك جليا في مقالة **البطليوسي** في الاسم والمسمى، حيث بدا واضحا أنّ التراثيين

كانوا يتعاملون مع الدلالة وفق منهج دقيق مشفوع بأدوات اجرائية علمية، ومؤسسة على معرفة بالموضوع وملابساته المختلفة. فالبطليوسي عند معالجته للقضية بدا:

- عارفا بلغة العرب ومداخلها المعجمية، الصرفية والتركيبية.
- عارفا بآراء العلماء حول الموضوع.
- مُلما بالنحو والبلاغة والمنطق، وهي علوم لا يمكن الاستغناء عنها في البحوث اللسانيّة.
- صاحب فكر تداولي متقدم.
- قادرا على الاستفادة من العلوم والتخصصات المختلفة.
- دقيقا في تحديد الدلالات حتى لا يقع في الشبهات.
- صاحب رؤية فلسفيّة واضحة.
- متأدبا في نقاشه وفي حديثه.
- موضوعيا في طرحه، غير منفعل أو متحيّز.

## 9. الهوامش:

[1]. ج.هيو سلفرمان، نصيّات بين الهرمنيوطيقا والتفكيكية، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، ط01، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2002، ص48.

[2]. ابن سينا، منطق المشرقيين، تق: شكري النجار، دار الحداثة، ط01، بيروت، 1982، ص19، نقلا عن أحمد يوسف السميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، ط01، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005، ص29.

[3]. السيّد الشريف الجرجاني، التعريفات، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1938، ص215، نقلا عن قادة عقاق، في السميائيات العربية قراءة في المنجز التراثي، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص22.

[4]. قادة عقاق، في السميائيات العربية قراءة في المنجز التراثي، ص22.

[5]. ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام هارون، مطبعة عيسى البابلي الحلبي، ط01، 1366، مادة (دلّ)، قادة عقاق، في السميائيات العربية قراءة في المنجز التراثي، ص22.

[6]. القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تح: طه حسين وإبراهيم مدكور، وزارة الثقافة والارشاد، القاهرة، 1965، 105/7، نقلا عن أحمد يوسف السميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، ص09.

[7]. عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، طبعة دار الشعب بالقاهرة، ص419، نقلا عن قادة عقاق، في السميائيات العربية قراءة في المنجز التراثي، ص21.

[8]. الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: عبد المنعم خفاجة، مكتبة القاهرة، 1972، ص325، نقلا عن أحمد يوسف السميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، ص30.

[9]. أبو حامد الغزالي، معيار العلم في فن المنطق، دار الأندلس، ط03، بيروت، 1981، ص47/46، نقلا عن أحمد يوسف السميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، ص35.

[10]. رفيق العجم، خطاب العقل البرهاني في الفكر العربي و نموذج الفرابي، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 65/64، مركز الإنماء القومي، 1989، ص61.

[11]. ينظر المرجع نفسه، ص63.

[12]. هيثم سرحان، إستراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة، ط01، دار الحوار، سوريا، 2003، ص171.

[13]. ينظر المرجع نفسه، ص173/172.

[14]. ينظر عبد الحكيم أجهر، التشكلات المبكرة للفكر الإسلامي، المركز الثقافي العربي(دراسة في الأسس الأنطولوجية لعلم الكلام الإسلامي)، ط01، الدار البيضاء، 2005، ص126.

[15]. المرجع نفسه، ص126.

[16]. المرجع نفسه، ص123/122.

[17]. ينظر المرجع نفسه، ص124.

[18]. مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تح: أبي مصعب مُحَمَّد سعيد البدري، ص35، نقلا عن أحمد يوسف السميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، ص84.

[19]. ينظر ابن هشام، شرح شذرات الذهب في معرفة كلام العرب، تح مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ص14، نقلا عن أحمد يوسف السميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، ص84.

[20]. عمارة ناصر، اللّغة والتأويل (مقاربة في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ط01، دار الفرابي، بيروت، 2007، ص173.

[21]. ينظر ربيعة حنيش، الخطاب الشعري في شرح البطليوسي لسقط الزند للمعري، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الأدب العربي، قسم الأدب العربي، جامعة تيزي وزو، 2012.

[22]. ينظر المرجع نفسه، ص17.

[23]. مُحَمَّد سالم سعد الله، ما وراء النصّ(دراسة في النقد المعرفي المعاصر)، ط01، عالم الكتب الحديث، 2008، ص 87/85.

[24]. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود مُحَمَّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط05، 2004، ص469.

[25]. ينظر ربيعة حنيش، الخطاب الشعري في شرح البطليوسي لسقط الزند للمعري، ص19.

[26]. المرجع نفسه، ص142.

[27]. جورج لايكوف و مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص21.

[28]. أبو العدوس المرجع نفسه، ص202.

[29]. ينظر ربيعة حنيش، الخطاب الشعري في شرح البطليوسي لسقط الزند للمعري، ص31.

[30]. البطليوسي، الشروح1، ص128.

[31]. المرجع نفسه، ص141

[32]. إيريش فروم، اللّغة المنسيّة (دراسة ممهدة لفهم الأحلام والحكايات العجيبة والأساطير)، تر: محمود منقذ الهاشمي، دار الحوار، ط01، سوريا، 2011، ص32.

[33]. سورة الأنبياء، الآية رقم30.

[34]. سورة النّور، الآية رقم45.

[35]. فراس السواح، مغامرة العقل الأولى (دراسة في الأسطورة: سوريا وبلاد الرافدين)، دار الكلمة للنشر، ط01، بيروت، 1970، ص15.

[36]. إيريش فروم، اللغّة المنسيّة (دراسة ممهدة لفهم الأحلام والحكايات العجيبة والأساطير)، ص31

[37]. ينظر ربيعة حنيش، الخطاب الشعري في شرح البطليوسي لسقط الزند للمعري، ص31.

[38]. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تع: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، ط02، بيروت، 1987.

[39]. ينظر فاطمة سفيحي، الفراسة في التراث العربي في ضوء الدرس السميائي المعاصر، مذكرة لنيل درجة الماجستير، قسم الأدب العربي، جامعة تيزي وزو، 2012، ص109.

[40]. مُحَمَّد سالم مُحَمَّد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص132/131.

[41]. ينظر ربيعة حنيش، الخطاب الشعري في شرح البطليوسي لسقط الزند للمعري، ص36.

**10. المراجع:**

**(1) الكتب:**


1. ج.هيو سلفرمان، نصيّات بين الهرمنيوطيقا والتفكيكية، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، ط01، المركز الثقافي العربي، المغرب،2002م.
2. ابن سينا، منطق المشرقيين، تق: شكري النجار، دار الحداثة، ط01، بيروت، 1982، ص19، نقلا عن أحمد يوسف السميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات)، ط01، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005م.
3. السيّد الشريف الجرجاني، التعريفات، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1938، ص215، نقلا عن قادة عقاق، في السميائيات العربية قراءة في المنجز التراثي، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (دت).
4. ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام هارون، مطبعة عيسى البابلي الحلبي، ط01، 1366، مادة (دلّ)، قادة عقاق، في السميائيات العربية قراءة في المنجز التراثي.
5. القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تح: طه حسين وإبراهيم مدكور، وزارة الثقافة والارشاد، القاهرة، 1965، 105/7، نقلا عن أحمد يوسف السميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات).
6. عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، طبعة دار الشعب بالقاهرة، ص419، نقلا عن قادة عقاق، في السميائيات العربية قراءة في المنجز التراثي.

7. الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: عبد المنعم خفاجة، مكتبة القاهرة، 1972، ص325، نقلا عن أحمد يوسف السميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات).
8. أبو حامد الغزالي، معيار العلم في فن المنطق، دار الأندلس، ط03، بيروت، 1981، ص47/46، نقلا عن أحمد يوسف السميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات).
9. هيثم سرحان، إستراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة، ط01، دار الحوار، سوريا، 2003م.
10. عبد الحكيم أجهر، التشكلات المبكرة للفكر الإسلامي، المركز الثقافي العربي(دراسة في الأسس الأنطولوجية لعلم الكلام الإسلامي)، ط01، الدار البيضاء، 2005م.
11. مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تح: أبي مصعب مُحَمَّد سعيد البدري، ص35، نقلا عن أحمد يوسف السميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات).
12. ابن هشام، شرح شذرات الذهب في معرفة كلام العرب، تح مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ص14، نقلا عن أحمد يوسف السميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات).
13. عمارة ناصر، اللّغة والتأويل (مقاربة في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ط01، دار الفرابي، بيروت، 2007م.
14. مُحَمَّد سالم سعد الله، ما وراء النصّ(دراسة في النقد المعرفي المعاصر)، ط01، عالم الكتب الحديث، 2008م.
15. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود مُحَمَّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط05، 2004م.
16. جورج لايكوف و مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها.
17. البطليوسي، الشروح1.
18. إيريش فروم، اللّغة المنسيّة (دراسة ممهدة لفهم الأحلام والحكايات العجيبة والأساطير)، تر: محمود منقذ الهاشمي، دار الحوار، ط01، سوريا، 2011م.
19. فراس السواح، مغامرة العقل الأولى (دراسة في الأسطورة: سوريا وبلاد الرافدين)، دار الكلمة للنشر، ط01، بيروت، 1970م.

20. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تع: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، ط02، بيروت، 1987م.

21. مُحَمَّد سالم مُحَمَّد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة.

**(2) المجلّات والأطاريح:**

1. ربيعة حنيش، الخطاب الشعري في شرح البطليوسي لسقط الزند للمعري، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الأدب العربي، قسم الأدب العربي، جامعة تيوي وزو، 2012م.

2. رفيق العجم، خطاب العقل البرهاني في الفكر العربي و نموذج الفرابي، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 65/64، مركز الإنماء القومي، 1989م.

3. فاطمة سفيحي، الفراسة في التراث العربي في ضوء الدرس السميائي المعاصر، مذكرة لنيل درجة الماجستير، قسم الأدب العربي، جامعة تيزي وزو، 2012م.